مفكرة

سنلتقي بأي ثمن

- ١ -

هل يوحشك الانتظار يا صاحبي ؟ لماذا لا نعبر في هذا الليل الى الوطن نجتمع حول زيتونه في الارض ، ونلعب لعبة الاطفال الذين احترقوا في رحم الحلم ؟ نغني في زقاق يبدأ من الحدود التي لها لون العصافير ولا ننتهي ... هناك نتجمع حول مائدة الوقت ، ونشرب خمر العشق والاناشيد .

هل انت راحل : شربت الليلة خمرا ، وبنيت فرسا من خاتم اصبعي، سأعبر انتظاراتي عند الصباح . وهناك سأرقص ، ثم اعد خطوات الصبايا اللواتي يحملن باقات الضوء السجينة .

اذن انت راحل : نعم . لكن الى اين ؟ الى حيث استطيع ان اجمع وجع ثلاثين سنة .

اين اصدقاؤك ؟

شربوا الخمر وسافروا . قالوا ان احفادهم الذين ما ولدوا بعد سيقتلونهم .

لماذا ؟!

الاطفال يا صاحبي لا يحبون اللعب الا في ساحات الوطن ولا يعشقون الا رائحة التراب البرتقالية .

- ٢ -

اتذكر الان . هذا كل شيء ، واحس ان داخلي موثق الى شارع اشتاق اليه ولا اعرفه .

الشارع برتقالة وجنون اخضر .

الشارع بندقية وحذاء او دمعة واقفة . الشارع طريق يوصل الى المنازل والاشجار وعناقيد « الكرمل » .

صدقني هذا هو الشارع . يقع تماما على بعد ابتسامة تجيء .

وهنالك بيتي :

هنا !

نعم ، لكني ما شاهدته منذ ابتدأ زمن الليل ، خرجت ذات مساء وفي يدي برودة الجوع . كنت يومها اجلس انا و « امرأتي » وراء الطاولة في المطبخ . وكان وجهها واضحا مثل حبة قمح . اذكر حدثتني انها تحب ان لا نغادر هذا المكان .

جاء الجراد وافترقنا .

- ٣ -

كان على الطاولة طعام وخمر عتيق شربته .

ولكني ما اكلت شيئا . كنت ارتجف في تلك اللحظة ، واحس اني بحاجة للبكاء على مهل .

ماذا يستطيع انسان غدره الزمن وترك خلف سياج البيت امرأة من الحنين .

وكمية من الحقد .

- ٤ -

هل يوحشك الانتظار يا صاحبي :

سوف اتقدم الان باتجاه البحر ، لا بد ان اهتدي الى ذلك الميناء الذي ادخل منه .

وسأسمع وقع الخطى التي تنتظر مواعيد الفجر .

صمت صاحبي : متى نلتقي ؟

الساعة الثالثة عند بوابة التاريخ المحاصر .

قالت لي امي ذات يوم في شتاء ماطر ان التاريخ عبارة عن كمية من الخبز والارض والذكريات التي لا تموت . ومواجهة الواقع دون تردد .

وقالت ايضا : علينا ان نغني للشمس الطالعة من حقول الاماني .

ما رأيك ان نبحر معا الى عناوين المراكب . وقف صاحبي ثم رسم بعينيه الغربة والالم والعذاب ، وصرخ : من هنا يبتدىء الفرح والنصر .

انظر جيدا ، ان « فلسطين » تنبت في خاصرة الاطفال وفي شرايين المخيمات ، هذه بداية الحقيقة .

- ٥ -

لا شيء يا صاحبي يرث جرحنا .

لنحاذر غشاوة الضوء . ولنخاطر بانجاب زرقة العمر ، لكن متى نلتقي ؟

حين لا ننسى اننا على موعد مع ... الارض .

حين نبدأ من بوابة الدم لندخل فسحة الحياة .

هذه هي مواعيد النمو بين الخرائب .

هل يوحشك الانتظار يا صاحبي ؟.

حسين نصر الله